قصص ارشادية

أبي لا يدخن

كتبها لكم
جمال شاهين

المكتبة الخاصة

أبي لا يدخن

النشر الاول ١٩٩٤

النشر الاخير ٢٠١٨



... أبي لا يدخن ...



استيقظ " أحمد " من نومه فزعا من حلم قد رآه فأزعجه ، فطار النوم من عينيه فنظر في الغرفة ناحية سرير أخيه " جابر " ، فوجده فارغا، فنظر إلى ساعته ؛ فإذا هي تزيد عن منتصف الليل فخاطب نفسه قائلا : لابد أن جابرا في صالة التلفزيون ، فهو مغرم بالأفلام الأمريكية والمسلسلات العربية كما يقول دائما .

فأزاح الغطاء عن بدنه ، وانتقل بهدوء إلى غرفة التلفزيون ، وفتح الباب ؛ فإذا جابر يضع سيجارة بين شفتيه ، ولما فتح الباب فجأة انتزعها جابر من فمه بسرعة محاولا إخفاءها ، وفعل مثله حامد ابن عم لهما يجلس معه ، وقال أحمد : السلام عليكم .. مساء الخير .. لا تخافا .. أنا أحمد .

فقال جابر وقد عاد يسحب أنفاسا على السيجارة : ألست نائما ؟!.. ما الذي أتى بك ؟

فقال أحمد من غير اكتراث لأسئلته : افرض .. افرض أن أبي هو الذي دفع الباب ودخل وشاهد ما شاهدت .. ثم هزّ رأسه وقال : حتى لو لم

تكن السجائر بين شفاهكم .. فرائحة الدخان تملأ المكان وتزكم الأنوف .

رد جابر ساخرا : يكفي أنك أزعجتنا وشغلتنا عن الفِلم .. وأبي يطرق الباب قبل أن يدخل ، لا يعمل مثلك ، لماذا لم تطرق الباب أيها الولد المهذب ؟!

قال أحمد : في هذه معك حق !.. الحق أني نسيت .. لأنني مذهول من حلم رأيته وهو الذي أزعجني وأيقظني .. لأرى هذا المشهد من حياتكما ..ماذا تشاهدان ؟

وجلس على مقعد والتفت لحامد قائلا : كيف حالك يا حامد ؟؟

فأجاب ابن عمه حامد قائلا : الحمد لله .. كيف أنت الآن ؟

قال أحمد : الحمد لله بخير ؛ ولكني قلق عليكما.. فالدخان ضار للبدن والصحة .. وسبب للأمراض القبيحة .. وهو فوق ذلك عادة سيئة .

فقطع جابر كلام أخيه قائلا : لا يكاد شيء يخلو من ضرر ، والموت بيد الله تعالى .. وأبطال السينما يدخنون ، وكبار الشخصيات يدخنون ؛ بل كثير من الأطباء يدخنون .

وقال حامد : قبل قليل شاهدنا بطل هذا الفِلم ، فكلما يتضايق ويقع في مأزق أو يحتاج للفكر تراه مشعلا سيجارته حتى تساعده على التفكير وحل المعضلات والمواقف التي تواجهه .

وعاد جابر يقول : هؤلاء نجوم العالم يدخنون ، وما أظن أنني شاهدت فِلما في السينما أو في التلفاز لا يدخن أبطاله يا سيد أحمد إلا الأفلام التاريخية القديمة أو الأفلام ذات الصبغة الدينية .

فرفع أحمد ابن الأربعة عشر ربيعا صوته قليلا : وهل هؤلاء الرجال هم القدوة والمثل الأعلى لكم ؟! .. فها هو أبي لا يدخن يا جابر .. وكذا أبوك يا حامد لا يدخن .. ولما ذكرتكم أن الدخان أو السجائر تضر بالبدن فهذا كلام الأطباء العلماء العقلاء .. وحتى مصانع التبغ تكتب لكم على صندوق السجائر التدخين يضر بالصحة ويسبب الأمراض .. أليس كذلك ؟

فضحك حامد قائلا : ولماذا يصنعونه ؟ .. لماذا تسمح الحكومات بصناعته ؟؟

تبسم أحمد وهو يقول : أنا لست خبيرا اقتصاديا لأرد عليك ؛ ولكنني سمعت من بعضهم أنهم يصنعونه أو يرخصون بصناعته لتعلق كثير من الناس به ، فعندما يصنع داخل البلد يوفر على الدولة القائمة أموالا كثيرة حتى لا تضطر لشرائه لهؤلاء الناس من الخارج ، فهي محاولة لتبقى أموال المدخنين في البلد قدر الإمكان .. ولابد أن هناك غايات أخرى أجهلها .

فصفق جابر تصفيقا خفيفا ساخرا وهو يقول : أحسنت يا فيلسوف ! ..

المهم أن لا تذكر ما رأيت أمام أحد من الناس .

فضحك أحمد قائلا ساخرا أيضا : أبطال الأفلام الذين تقضي جل أوقاتك في متابعتها لا يدخنون أمام آبائهم ، ولا يخبرون أحدا بأنهم يدخنون .. نصيحتي أن تبتعدا عنه قبل فوات الوقت .. ولكن يا جابر إن سألني أبي يوما ما أو عمي يا حامد فسوف أخبرهما .. فلا تغضبا عليّ ، فكما تعلمان فأنا لا أحب الكذب والتستر عليكما .

فرد جابر بغضب خفيف : لا داعي للتهديد والوعيد .

وفي هذه اللحظة أنهت المحطة بث الفِلم ، فأغلقوا التلفاز وأغلقوا نوافذ الغرفة ، وأخذ حامد رماد السجائر ليرميه خارج البيت ، وهم يوصون أحمد بأن يلزم الصمت ، ولا يذكر ما رأى منهما أمام أحد صغيرا كان أم كبيرا ، وانصرف حامد في هزيع الليل الأخير إلى بيته القريب ، وذهب الأخوان لغرفة نومهما صامتين .



وبعد أيام التقى جابر وأحمد في شارع الحي وجرى بينهما كلام عنيف ، مما دعا أصحابهما وجيرانهما للتدخل بينهم والتفريق بينهما ، وكان جابر يصيح قائلا : أنت الذي فسدت عليّ لأبي .. لا أحد غيرك .

وأخذ في السب والشتم واللعن ، وظل أحمد صامتا حتى انتهى جابر من صراخه فقال : لا أريد أن أحلف بأنني لم أخبر أباك .. ولو كنت أريد أن اخبره لأخبرته منذ تلك الليلة .. ولو أخبرته ما أنا بخائف منك ؛ ولكني افعله لمصلحتك التي لا تعرفها .

فأخذ جابر الأكبر سنا من أحمد يضحك بصوت عال ثم قال : أمام هؤلاء الشباب لا أصدقك .. أنت كذاب وفيلسوف فاشل نمام .

غضب أحمد وقال : سأقول لك أمام أصحابك هؤلاء عمن أخبر أباك حتى يصدقوك في وصفي بالكذب .. قبل نهارين ألم يقبض عليك أستاذ ومعلم التربية البدنية متلبسا بالتدخين في المدرسة خلف قاعة الرياضة ، ومعك ابن عمك حامد وبعض الطلاب ؟ .. وقد طلبك المدير ونصحك بترك التدخين والشغب .. فالمدير يا بطل اتصل بأبيك وأخبره بأمرك .. هل عرفت الآن يا فطن من أخبر أباك ؟! .. واعلم بأنني سأخبر أبي من الآن فصاعدا إذا رأيتك تدخن .

فقهقه جابر بعد الصدمة التي تلقاها عندما عرف مصدر معرفة والده

بأنه يتعاطى الدخان وقال بتحد وهو يخرج سيجارة من جيب قميصه : سأدخن أمامك .. وهنا في الحارة ، واعلم أنني لا أخشى أحدا .

فقال أحمد : يا شباب الحي أنتم ترون أنه كذبني ، وهو يريد أن يدخن أمامي ليتحداني .. أقسم بالله العظيم إن رأيتك تدخن يا سيد جابر سأحدث أباك رغم أنفك .

جابر مراهق يكبر أحمد بسنتين ، وهما تلميذان في مدرسة واحدة ، فلما سمع جابر قسم أخيه احتار وارتبك ، فهل يستمر في التحدي أم يجبن أمام رفاقه ، وهؤلاء الرفاق صامتون واجمون ، لا يتكلمون ، يتابعون المعركة بصمت ، فأشار جابر لأحدهم وقال : هل معك ولاعة ؟ أريد أن أدخن أمامه ليراني أخي العزيز ..

واعلم لو أنك أخبرت أباك سأخاصمك إلى الأبد .

تبسم أحمد وقال بتحد : دخن ، وسوف ترى .

فازداد جابر غضبا وصاح : تتحداني يا أحمد .

فرد أخوه بقوله : أنا لا أتحداك ؛ بل أنت الذي يتحدى ، وتريد أن تدخن

أمامي مع أنني حلفت يمينا .

فقدم الشاب الذي أشار إليه جابر الولاعة له وهو يبتسم بخبث ، فأخذها جابر وأشعل السيجارة ، وكان جابر يتوقع منه ألا يحرجه ، ويعتذر عن عدم وجود ولاعة معه ، ولكن الآخر قصد زيادة إشعال النار بين الأخوين ، سحب جابر نفسا عميقا على السيجارة وهو في غيظ شديد على أخيه ورفيقه .

انسحب أحمد عائدا للبيت وأخبر أمه بما جرى بينه وبين جابر ، وترجاها بأن تخبر أباه ، ولما عاد جابر للبيت ، حاولت الأم أن تصلح بينهم ، فقال أحمد : يا أمي .. أرى أني أفعل ذلك لصالح جابر .. فالدخان يا أماه أمره قبيح .. وتركه اليوم أسهل من الغد .. فأبو سالم كلكم تعرفونه .. ألم يكن من أسباب القضاء عليه بعد قدر الله تعالى السرطان في رئته ؟! .. وسرطان الرئة من مسبباته الدخان .




قصص
ارشادية